موسيقى

حصاد عام الوباء

يبدو أنّ عام 2020، وضع الموسيقى، وإنتاجها، في مواجهة مباشرة مع أسئلة كثيرة كانت مؤجّلة. فمع انتشار فيروس كورونا، وإغلاق الكوكب، وتوقّف الفعاليات، وجد الفنانون أنفسهم أمام صالات مغلقة، ولا جدوى من إطلاق الألبومات إلا عبر المنصات الافتراضية

أقيمت عروض موسيقية من دون حضور الجمهور (الأناضول)

تسارع في الإشارات والتحولات

علي موره لي

كورونا. اسم على كل لسان يُجمل حصاد العام المشرف على الانقضاء - ولا أسف - بكلمة واحدة. ليس حصاد الموسيقى وحده، وإنما في أي حقلٍ من حقول الحياة. بضعة شرائط أخبار عاجلة، شوهدت عابرة أسفل الشاشات خلال نشرات الأخبار مطلع السنة، تتحدث عن رصد مجموعة إصابات بعدوى فيروسية في إقليم ووهان جنوبي الصين، تعذّر الشفاء منها. حينها، لم يخطر ببال أحد، سوى قلة قليلة من العلماء، أن ذلك الفيروس، الذي أطلق عليه كوفيد - 19، سيزحف على قارات الأرض السبع، مُبدّلاً حياة البشر لبضع سنوات قادمة، إن لم يكن إلى الأبد.

في الموسيقى تحديداً، أضاف كورونا انعطافة أخرى لم تكن متوقعة على طريق كانت أصلاً وعرة وقد شهدت على مرّ العقدين الآخرين جملة انعطافات حادة، تبدو في بعض الأحيان كما لو أنها تقود إلى تغيير هيئة الإنتاج الموسيقي كلياً وجذرياً، أكان ذلك في الشكل أم في الأداة، أو حتى في طريقة التوزيع وطبيعة الاستهلاك، وسُبل جني الأرباح والعوائد التي تبدو، إلى حين تبلور مشهد إنتاج فني جديد، كأنما تعاني ركوداً حاداً، وحتى كساداً على صعيد أنماط النشاط الموسيقي التقليدية، كإحياء الحفلات وإقامة المهرجانات، وإطلاق الجولات المحلية والعالمية، ومن ثم بيع وتسويق الأسطوانات المدمجة (السي دي) وما رافقها من تغطية صحافية وإعلامية.

موت الألبوم كعبوة تسويقية للأغنية أو المعزوفة، بات من السهل التنبؤ به. مع الرقمنة Digitalisation، كانت بداية النهاية؛ بتحميل المئات من الملفات الصوتية المضغوطة mp3 على أجهزة إلكترونية سمعية كالآي بود iPod، التي أتاحت تعبئة المُفضّلات من المواد السمعية، ضمن لوائح لعب Playlist خاصة بكل مُستهلك أخذت تتجاوز نطاق الألبوم. مع بزوغ الإنترنت وظهور عديد منصات خدمة الرفع upload والدفق streaming، توسع نفوذ تلك اللوائح على حساب سيادة الألبومات، تصاحُباً مع قِصر أمد التركيز عامةً والاستماع خاصة لدى أولئك الغرقى في بحور الإنترنت والسوشيال ميديا من جهة، ومن جهة أخرى، نمو ثقافة الشخصنة Personalising القائمة على نرجسية تفصيل الهيئة والمحتوى بحسب الرغبة customising. إذ إن كلّ مستمع صار يصمّم ألبومه. كلٌّ يزرع في بستانه السمعي الخاص، على يوتيوب أو سبوتي فاي، من كل روض زهرة.

موتٌ ثانٍ، عساه مؤقتاً، سبّبه كورونا، دهم اثنتين من الوسائل التقليدية لتسويق الألبوم؛ الحفلة الحيّة والجولة الفنية. ضرب الإقفال الذي عمّ كوكب الأرض بعرض الحائط كل جداول مواعيد الحفلات، التي عادة ما تضمن للفنان موسم تسويق جديد إصداراته وبيع عديد سي ديهاته. بحسب نجمة البوب الأميركية، آريانا غراندي، فإنه «لا جدوى ولا أمل من التخطيط لحفل موسيقي حيّ أو جولة فنية قبل حلول عام 2022». وعليه، لا فرصة حقيقية بتحقيق أيّ عوائد من بيع ألبوم بنسخته الصلبة؛ مسمارٌ آخر إذاً يُدق في نعشه. موت ثالث، كان يسري قبل كورونا، واليوم أخذ يجري متربصاً بالجودة الإنتاجية التي كفلتها وقامت عليها شركات إنتاج فنّي، من صغيرة إلى متوسطة الحجم، أو عملاقة تدعى بـ«علامة التسجيل» Recoording Label. حافظت تلك الشركات على الدوام على هيكل مؤسساتي من مقرّ صلب، سواءً للتسجيل أو للإدارة، وطاقم بشري من مهندسي صوت وفنيين، وفريق من المسوقين والمروجين والخبراء الماليين. شكّلت العلامات جسراً، من دون عبوره لا نجاح لأي فنان ولا صلة تصله بالسوق أو بالجمهور. أما اليوم، فقد أتاحت الطفرة التكنولوجية التي تمخضت عنها برمجيات التسجيل الموسيقي المنزلي، إمكانية شبه مجانية في متناول الكلّ، وإن على حساب النوع.

مع تعطّل الحياة بمرافقها كافة، واحتجاز الناس داخل المنازل رهائن في قبضة كورونا، أصبح الإنتاج الفني المنزلي هو الملاذ الوحيد، ليس فقط بالنسبة إلى الفنانين دونَ مستوى الجماهيرية من بين الصابين إليها والصاعدين أولى درجاتها، وإنما حتى بالنسبة لأولئك المشاهير الذين رغبوا في ركوب موجة ما بات يُعرف بـ «زمن الفن الرديء»، في إشارةٍ إلى النصف جودة النسبية التي لا تزال تشوب على الأقل شكل الفن المنتج، في غرف الجلوس وعلى حواسيب محمولة. وذلك بالقياس إلى ما وفّرته المُعدّات الخفيفة والثقيلة التي امتلكتها الأستوديوهات. عينهم في ركوبهم على ما يُضفيه الاستوديو المنزلي Home Studio، على العمل الفني من عفوية ونفوذية تخترق البيوت وتكسر الحَجر.

ألبوم المغنية التجريبية الأميركية فيونا آبل Fiona Apple المعنون بـ Fetch The Bolt Cutters (ابحث عن قطّاعة الأقفال)، لهو أفضل مثال لهذا العام على «موسيقى كورونا»، إذ حوى على جميع مُميّزات المرحلة. إن كان لجهة اللغة الفنية أو الخطاب الاجتماعي. بدءاً بالعنوان، يستجيب الإصدار صراحةً لحالة العيش في ظل الإقفال، مُعبّراً عن التوق إلى الحرية وإلى استعادة الحياة الطبيعية.

من الناحية الفنية، يُعدّ الإصدار نموذجاً موسيقياً بديعاً للإنتاج المنزلي؛ إذ إن خيارات فيونا آبل الإبداعية، وتفرّدها في البعد عن المألوف السائد، قد جعل منزلها في لوس أنجليس يتجاوز مظهر الاستوديو الطارئ والارتجالي، ليغدو مختبر الصوت والعاطفة والفكرة زمنَ الأوبئة.

تُمثل أغنية الشابة اللبنانية شانتال بيطار المعنونة بـ «عم تخطر عبالي بالحجر الصحي»، محاكاةً عربية لموسيقى كورونا، ونسخة محلية من الإنتاج الموسيقي المنزلي. قبل الحجر، وعلى عكس فيونا آبل، قلما سمع أحدٌ خارج حدود لبنان بـ شانتال بيطار. من هنا، يبدو أن الأخيرة قد اجتازت اختباراً ناجحاً لإمكانية الانتشار عبر الإنترنت والصعود السريع على منصّات السوشيال ميديا، إن حالف المرء الحظ، وذلك في خضم الكم الهائل من المرفوعات. إلى جانب الحظ، فإن كلاً من إطلالة شانتال بيطار الجامعة ما بين الجمال والبراءة، ومن ثم صوتها الصادق والصافي، إضافة إلى كلمات الأغنية فيروزية اللغة والنبرة، قد زاد من جاذبية الأغنية وأكسبها القدرة على استمالة التعاطف.

> أصبح الإنتاج الفني والموسيقي المنزلي هو الملاذ الوحيد

كمان منفرد

على صعيد التشكيلات التي تنضوي ضمن فئة موسيقى الحجرة Chamber Music؛ فقد لجأ بعض النجوم إلى جملة من المبادرات المنزلية، كعازف الكمان الجنوب افريقي، دانيال هوب Daniel Hope، وبالتعاون مع شبكة آر ت يه arte التلفزيونية، إذ قام بتجهيز غرفة الجلوس في منزله بلواقط وكاميرات، ليقدّم منها، تحت عنوان هوب (و تعني أمل) في المنزل Hope@Home مقطوعات للكمان المنفرد.

أخبار

منحت مجلة «تايم» الأميركية فرقة البوب الكورية الجنوبية **بي تي أس** BTS لقب «فنان العام الترفيهي»، بعدما أصبح أعضاؤها السبعة ظاهرة عالمية، خصوصاً مع انتشار أغاني البوب الكورية وتحقيقها مشاهدات عالية.

في ألبومها الجديد، **بوزيشينز**، تعيد الفنانة الأميركية، آريانا غراندي، تموضعها لجهة موسيقى «الآر آند بي»؛ إذ تعيد أصداء بداياتها مع أول ألبوماتها، Yours Truly، وإن أتى لون «الآر آند بي» الجديد أقرب إلى أفريكانية نجوم الـ نيو سول.

عند الثامنة من مساء اليوم الأحد، تقيم «دار الأوبرا المصرية»، على خشبة مسرح «معهد العالم العربي» في القاهرة، عرضاً يحمل عنوان **وهابيات**، تؤدي فيه مجموعة من الأغاني التي لحّنها وغنّاها الفنان الراحل، محمد عبد الوهاب.

صدر أخيراً للفنان والمؤلف الموسيقي الفلسطيني، فرج سليمان، ألبوم بعنوان **أحلى من برلين**. يتضمن العمل، الذي كتب كل أغانيه مجد كيال، قراءة لمدينة حيفا المحتلة، وواقعها الاجتماعي والثقافي والسياسي واليوميين.

أصدر الفنان الإنكليزي، بول مكارتني، ألبوماً جديداً يحمل عنوان **McCartney III**، وهو العمل الفردي الثامن عشر لمكارتني، الذي عُرف ببداية مشواره كعضو في فرقة «البيتلز»، والثالث ضمن سلسلة تحمل اسم الفنان نفسه.

أفضل أغاني 2020
15 قطعة في قائمتين

عمر بقبوق

مع نهاية كل سنة، تبدأ المواقع والصحف العربية والعالمية بإعداد قوائمها الخاصة، لرصد أفضل الأغاني أو الألبومات التي تم طرحها خلال السنة. هذه القوائم تختلف في ما بينها حول الأفضل في كل مرة، لتؤكد بنفسها أن فكرة إعداد قوائم لأفضل الإنتاجات الفنية في نهاية كل عام، هي أمر غير قابل للتطبيق، وذلك بسبب العوامل التي تحكم التقييم، سواء التقييمات الفردية التي يعدها ناقد واحد، أو حتى التقييمات الجماعية التي يشارك بها عدد من النقاد، أو حتى الجمهور. فاختلاف الأذواق والثقافات والحالات النفسية التي يمر بها الناقد في لحظة التقييم، تساهم بشكل كبير بالنتيجة، ناهيك عن استحالة إلمام أي ناقد بكل ما تم إنتاجه موسيقياً حول العالم بسنة واحدة.

رغم ذلك، فإن القوائم التي تختار الإنتاجات الأفضل بنهاية كل سنة، تبقى أحد أكثر المواضيع جاذبية وأهمية بالنسبة للقارئ؛ فهي في الغالب ستتضمن مجموعة من الأغاني التي يعرفها القارئ، وسيساهم تجميعها بتقديم شريط موسيقي مختصر عن السنة والذوق العام السائد، وأيضاً تتضمن أغاني لا يعرفها القارئ، وهنا تلعب دورا مهما بالإضاءة على تجارب، يمكن أن نصفها أحياناً بأنها «أندر ريتد». ووفقاً لذلك، سنقوم بتقسيم هذه القائمة إلى فئتين، تضم الفئة الأولى اختيارات شخصية لأفضل عشر أغان في سنة 2020، والثانية تضم أفضل خمس أغاني «أندر ريتد». من أفضل أغاني 2020:

> أصدرت الفرقة الكورية BTS هذا العام أول أغنية بالإنكليزية

قدّمت دوا ليبا هذا العام البوما بعنوان Future Nostalgia (Getty)

BTS-Dynamite

أغنية الـ«ديسكو-بوب» المنفردة التي أصدرتها فرقة البوب الكورية BTS في الصيف، والتي تعتبر أول أغنية للفرقة يتم إصدارها كاملةً باللغة الإنكليزية، هي أغنية العام بالتأكيد، التي ستجدها لا محالة بجميع القوائم التي أعدتها الصحف والمواقع المتخصصة بالموسيقى.

Miley Cyrus - Midnight Sky

يحتوي ألبوم «Plastic Hearts» الذي أصدرته مايلي سايرس الشهر الماضي على العديد من أغاني البوب روك الرائعة، كأغنية «prisoner» التي شاركت بها دوا ليبا، وأغنية «gimme what i want» و«wtf do i know» بالإضافة للأغنية التي تحمل اسم الألبوم؛ لكن يبقى أفضلها على الإطلاق هو الأغنية المنفردة التي مهدت بها لألبومها في الصيف الماضي، «Midnight Sky»، التي تخطت بها سايرس كل التوقعات.

Lady Gaga & Ariana Grande - Rain on Me

الأغنية التي جمعت بين ليدي غاغا وآريانا غراندي هي أفضل الأغاني الثنائية في سنة 2020 على الإطلاق، وهي الأكثر سحراً في ألبوميهما، اللذين يحتويان على العديد من الأغاني التي تستحق الإشادة، مثل «911» و«Stupid Love» لليدي غاغا و«34+35» لآريانا غراندي. الأغنية تدمج بين موسيقى الـ«دانس بوب» والـ«إلكترو بوب» والـ«هاوس» والديسكو.

Dua Lipa – Physical

إن اختيار أغنية واحدة من ألبوم «Future Nostalgia» لدوا ليبا ضمن قائمة الأفضل هو أمر بغاية الصعوبة، فأغنيتا «Levitating» و«Break my heart» اللتان تعتمدان على موسيقى الديسكو، تستحقان الإشادة بالتأكيد، ولكن بذات النمط تتفوق عليهما أغنية «Don›t Start Now» التي أصدرتها منفردة تمهيداً للألبوم نهاية 2019. لذلك سنختار أغنية البوب روك «Physical» التي لا تقل سحراً عنها.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني